

هل الإمام المهدي (عج) غاب من السرداب و يظهر من السرداب ؟

السائل: محمد رضا محمدي

طرح الشبهة:

السرداب المقدس هو السرداب الذي في جنب المرقد المطهر و المنور للامامين العسكريين الإمام الهادي و الامام العسكري عليهما السلام في مدينة سامرا، من المتداول في دولة العراق و لاسيما في المدن الحارة ان الناس يحفرون سردابا في تحت بيوتهم حتى يلتجئوا اليها في ايام الصيف الحارة، الامام الهادي و الامام العسكري عليهما السلام ايضا حفرا سردابا في جنب بيوتهم اضافة على الغرف الموجودة في البيت، لنفس الغرض.

هذا السرداب حسب رؤية الشيعة مقدس من جانب انه محل اقامة ثلاثة من ائمة الشيعة عليهم السلام. من التهم الشيعة و البتة المضحكة من قبل بعض علماء اهل السنة و الوهابية على اتباع مذهب اهل البيت عليهم السلام، انهم قالوا: تعتقد الشيعة ان الإمام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف غاب في سرداب في سامرا، حلّه او بغداد و... و يظهر من هناك. ثم بدأوا بالتمسخر و قالوا ان الشيعة يقفون امام باب هذا السرداب بخيولهم و ينادونه، و لا يقيمون الصلوة في هذه الاوقات و... شمس الدين ابن خلكان (المتوفى 681هـ) يقول: والشيعه يقولون إنه دخل السرداب في دار أبيه وامه تنظر إليه فلم يعد يخرج إليها وذلك في سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين.

إبن خلكان، ابوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (المتوفى 681هـ)، وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، ج4، ص176، تحقيق احسان عباس، ناشر: دار الثقافة - لبنان.

ابن تيمية في منهاج السنة يقول:

ومن حماقتهم أيضا أنهم يجعلون للمنتظر عدة مشاهد ينتظرونه فيها كالسرداب الذي بسامرا الذي يزعمون أنه غاب فيه و مشاهد آخر و قد يقيمون هناك دابة إما بغلة وإما فرسا وإما غير ذلك ليركبها إذا خرج و يقيمون هناك إما في طرفي النهار وإما في أوقات آخر من ينادي عليه بالخروج يا مولانا أخرج يا مولانا أخرج ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم وفيهم من يقول في أوقات الصلاة دائما لا يصلي خشية أن يخرج وهو في الصلاة فيشتغل بها عن خروجه وخدمته وهم في أماكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبي(ص) إما في العشر الأواخر من شهر رمضان وإما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

ابن تيمية الحرائي الحنبلي، ابوالعباس أحمد عبد الحلیم (المتوفى 728 هـ)، منهاج السنة النبوية، ج1، ص44-45، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة: الأولى، 1406هـ.

ابن القيم الجوزية ايضا يكرر كلام استاذة في كتاب المنار المنيف، جزافا هكذا:

وأما الرافضة الإمامية فلمهم قول رابع وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار الذي يورث العصا ويختم الفضا دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا من أكثر من خمس مئة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أثر وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيال علي باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم أخرج يا مولانا أخرج يا مولانا ثم يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ودأبه

ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما أنا

فعلي عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

الزرعي الدمشقي الحنبلي، شمس الدين ابوعبد الله محمد بن أبي بكر أيوب (المشهور بابن القيم الجوزية ) (المتوفى 751هـ)، المنار المنيف في الصحيح و الضعيف، ج1، ص152، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، 1403هـ.

شمس الدين الذهبي في كتاب العبر في اخبار من غبر بعد التصريح بولادة الامام المهدي عجل الله تعالي فرجه الشريف، يتهم الشيعة هكذا: و تلقبه بصاحب الزمان و هو خاتمة الاثني عشر و ضلال الرافضة ما عليه مزيد فإنهم يزعمون أنه دخل السرداب الذي بسامرا فاخفتني و إلي الآن.

الذهبي الشافعي، شمس الدين ابوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى 748 هـ)، العبر في خبر من غبر، ج2، ص37، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، ناشر: مطبعة حكومة الكويت - الكويت، الطبعة: الثاني، 1984.

ابن خلدون في مقدمته يقول هكذا:

منهم يزعمون أن الثاني عشر من أمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم في الحلة وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملاً الأرض عدلا يشيرون بذلك إلي الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم إلي الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتي تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الأمر إلي الليلة الآتية وهم علي ذلك لهذا العهد.

إبن خلدون الحضرمي، عبد الرحمن بن محمد (المتوفى 808 هـ)، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص199، ناشر: دار القلم - بيروت - 1984، الطبعة: الخامسة.

احمد بن علي القشقلندي، كابن خلدون يدعى ان هذا السرداب بالحلة:

ثم ابنه الحسن الزكي المعروف بالعسكري ثم ابنه محمد الحجة وهو المهدي المنتظر عندهم يقولون أنه دخل مع أمه صغيرا سردابا بالحلة علي القرب من بغداد ففقد ولم يعد فهم ينتظرونه إلي الآن ويقال أنهم في كل ليلة يقفون عند باب السرداب ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلي مغيب الشفق ينادون أيها الإمام قد كثر الظلم وظهر الجور فاخرج إلينا ثم يرجعون إلي الليلة الأخرى وتلقب هذه الفرقة بالاثني عشرية الفزارى القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (المتوفى 821هـ)، صبح الأعشي في كتابة الإنشاء، ج13، ص232، تحقيق عبد القادر زكار ناشر: وزارة الثقافة - دمشق - 1981.

الزبيدي الحنفي يدعى ان هذا السرداب بالري و الناس يحضرون لذلك فرسا مسرجا ملجما في كل يوم جمعة:

والسردابية: قَوْمٌ مِنْ غُلَاةِ الرَّافِضَةِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ مِنَ السَّرْدَابِ الَّذِي بِالرِّيِّ، فَيَحْضِرُونَ لِذَلِكَ فَرَسًا مُسْرَجًا مُلْجَمًا فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ قَائِلِينَ: يَا إِمَامَ، بِاسْمِ اللَّهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

الزبيدي الحنفي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضي الحسيني الواسطي (المتوفى 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، ص57، تحقيق: مجموعة من المحققين، ناشر: دار الهداية.

محمد بن عبد الوهاب في رسالة في الرد علي الرافضة يقول:

قيل أن سبب جمعهم بين الظهرين والمغربين طول الدهر مع اختيار التأخير فيهما هو: أنهم ينتظرون القائم المختفي في السرداب ليقصدوا به فيؤخرون الظهر إلي العصر إلي قريب غروب الشمس فإذا يئسوا من الإمام واصفرت الشمس وصارت بين قرني الشيطان نقروا عند ذلك كثرق الديك فصلوا الصلاتين من غير خشوع ولا طمأنينة فرادي من غير جماعة ورجعوا خائبين خاسرين نسأل الله العفو والعافية وقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالجبل علي ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب.

محمد بن عبد الوهاب (المتوفى 1206 هـ)، رسالة في الرد علي الرافضة، ج1، ص33، تحقيق: الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، ناشر: مطابع الرياض - الرياض، الطبعة: الأولى،

احسان الهي ظهير في كتاب فرق المعاصرة يقول:

وفي اثناء مراتبتهم لا يصلون خشيتاً أن يخرج وهم في الصلاة.

فرق معاصره، ج1، ص208.

عبد الله القميصي من كبار الوهابية المعاصرين يقول هنا هكذا:

وإن أغبي الأغبياء، وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم في السرداب، وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلي ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام.

الصراع بين الإسلام و الوثنية، ج1، ص374.

هذه القضية كررها مصطفى الحلبي في نظام الخلافة، ص267، محمد علي الجندي في نظرية الإمامة، ص38.

#### نقد و دراسة:

و لو أن هذه الكلمات التي لا قيمة لها تدل على جهل المتكلم و جهله بمعتقدات الشيعة، لا تحتاج إلى إجابة، و هذه الاكذوبة هو أفضل رد و منكر للمتحدث؛ لكننا سنقتبس باختصار إجابة علماء الشيعة و نقلها.

كل الشيعة و حتى أولئك الذين يعيشون في أقصى مناطق العالم، يؤكدون أنهم لم يؤمنوا بمثل هذا الشيء، و هذا غير موجود في أي من كتبهم. لو وجد هؤلاء العلماء من اهل السنة الذين يبدو أنهم عظماء دليلاً على كذبهم، لكانوا قد نقلوه بالتأكيد. لكن حتى الآن لم يعثروا على أي دليل يثبت أن الشيعة يعتقدون ذلك.

و من المؤسف أن هؤلاء العلماء من اهل السنة كيف يتحدثون عن هذه الأمور دون بحث و دراسة و لم يحافظوا على حرمة القلم. على الرغم من أن مثل هذا الشيء غير موجود في أي من كتب الشيعة.

هذه المزاعم تدل على أن معارضي أهل البيت عليهم السلام لم يجدوا وسيلة سوى الكذب والافتراء للتشكيك في مذهب الشيعة الحنيف، و أيديهم خالية من الحجج لإثبات شرعية دينهم.

و لا نعتقد أن هؤلاء العلماء من اهل السنة الذين يحملون الألقاب كشيخ الإسلام و إمام المحدثين و إمام الجرح و التعديل و العلامة و غيرها، لم يكونوا على دراية بزييف هذا الافتراء و قالوه عن جهل. لأن الشيعة قد تواجدوا في كل مدن العالم عبر التاريخ و كتب الشيعة متوفرة لهم. هل هؤلاء العلماء لم يكونوا مصداق هذه الآية من القرآن الكريم عند ما تقول:

ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . آل عمران/66.

ونحن على يقين من أن الله سوف يسألهم و يحاسبهم أمام هذه الافتراءات يوم القيامة:

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ . النور/15.

و قد أعطى علماء الشيعة أجوبة صادمة و كاملة على هذه الشبهة، فنكتفي بذكر هذه الإجابات.

العلامة الاميني رضوان الله تعالى عليه فى الجواب عن كتاب القصيمي و ابن تيمية يقول:

و فرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطمور نغمات بضم الحميم إلى الخيول وادعائه اطراد العادة في كل ليلة واتصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا تري أن غيبة الإمام في السرداب، ولاهم غيبوه فيه ولا إنه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: إنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء، وإن من المطرد إيجاد السرداب في الدور وقاية من قايظ الحر، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وإنه كان مبوء لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السلام ومشرفهم النبي الأعظم في أي حاضرة كانت، فقد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقولون في أمر السرداب اتفقوا علي رأي واحد في الأكذوبة حتي لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته 2 ص 198: إن هذا السرداب المنوه به في الحلة. ولا يقول القرمانى في ( أخبار الدول ) إنه في بغداد. ولا يقول الآخرون: إنه بسامراء. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته. وإني كنت أتمني للقصيمي أن يحدد هذه العادة بأقصر من ( أكثر من ألف عام ) حتي لا يشمل العصر الحاضر والأعوام المتصلة به، لأن انتفاؤها فيه وفيها بمشهد ومرئي ومسمع من جميع المسلمين، وكان خيرا له لو عزاها إلي بعض القرون الوسطي حتي يجوز السامع وجودها في الجملة، لكن المائن غير متحفظ علي هذه الجهات.

**الأميني، الشيخ عبد الحسين احمد (المتوفى 1392هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج3، ص308، ناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الرابعة، 1397هـ - 1977م.**

الشيخ محمد باقر الشريف القرشي من كبار العلماء و المعاصرين فى نجف الاشرف يقول فى هذه الشبهة و كلام ابن خلدون هكذا:

وحفل كلام ابن خلدون بالأكاذيب، والحق علي آل البيت عليهم السلام، وعلي شيعتهم، ومن بين أغاليطه ما يلي:

أولا: إنكاره لوجود الإمام المنتظر عليه السلام الذي تواترت بظهوره ووجوده الأخبار التي أثرت عن النبي صلي الله عليه وآله، وقد فند مقالته الأستاذ المحقق والعالم المعروف أحمد محمد شاکر، فقد قال: " وأما ابن خلدون فقد فقا ما ليس به علم، واقترح قحما لم يكن من رجالها، وغلبه ما شغله من السياسة، وأمور الدولة وخدمة من كان يخدم من الملوك والأمراء، فأوهم أن شأن المهدي عقيدة شيعية، وأوهمته نفسه ذلك فعقد في مقدمته المشهورة فصلا طويلا جعل عنوانه ( فصل في أمر الفاطمي، وما يذهب إليه الناس من أمره " إلخ.

إن عقيدة الشيعة وسائر المسلمين في الإمام المهدي عليه السلام هي جزء من رسالة الإسلام، فمن أنكره فقد أنكر الإسلام، كما يقول بذلك بعض علماء السنة، كما سنعرض لذلك في البحوث الآتية.

ثانيا: من أغاليط ابن خلدون في هذا الكلام أن الإمام المنتظر عليه السلام قد اعتقل مع أمه في ( الحلة )، وغاب فيها، وهذا كذب مفضوح، ويواجهه ما يلي:

أ - إن السيدة والدة الإمام عليه السلام قد توفيت قبل وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بستين، كما ذكرنا ذلك في البحوث السابقة.

ب: - ولم يذكر أحد من مؤرخي الشيعة وغيرهم أن الإمام المنتظر عليه السلام قد اعتقل أو ألقى السلطة العباسية القبض عليه لا في الحلة ولا في غيرها فما ذكره ابن خلدون عن ذهاب الشيعة إلي ذلك، إنما هو محض افتراء وتشويه لعقيدتهم.

ثالثا: من افتراء ابن خلدون علي الشيعة أنهم يقفون بباب السرداب الواقع في ( الحلة )، ويقدمون مركبا للإمام عليه السلام ويهتفون باسمه، ويدعونه للخروج حتي تشتبك النجوم.

إن هذه الأكاذيب لم تسمع بها الشيعة وهي بريئة منها، قد افتعلها عليهم ابن خلدون الذي تجرد عن كل خلق قويم، وارتطم في الإثم.

القرشي، باقر شريف (معاصر)، حياة الإمام المهدي (ع)، ص116، ناشر: ابن المؤلف الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.

الشيخ ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام 1320 هـ، مؤلف كتاب "مستدرك الوسائل" في كتاب كشف الأستار عن وجه الإمام الغائب عن الأبصار، بعد أن استشهد بأقوال بعض كبار اهل السنة حول قضية السرداب، يقول هكذا:

فنقول: يا علماء العصر و حفاظ الدهر هذه كتب علماء الإمامية و مؤلفاتهم قبل ولادة المهدي عليه السلام إلي هذه الأعصار شائعة و هي بين أظهركم و عندكم أو تتمكنون منها فاذكروا كتاباً واحداً من أصاغر علمائهم فيه ما نسب إليهم فضلاً عن أكابرهـم. كالشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي الذي عده الجزري في جامع الأصول من مجددي مذهب الإمامية في المائة الرابعة... وهكذا سوي ما ذكروه في كتب المناقب في ذكر أحواله بعد ذكر والده.

نحن كلما راجعنا وتفحصنا لم نجد لما ذكروه أثراً، بل ليس في الأحاديث ذكر للسرداب أصلاً...

النتيجة:

أسطورة السرداب هي من الافتراءات القبيحة التي قالها بعض علماء اهل السنة و الوهابية فقط بسبب عدم قدرتهم على الوقوف في وجه الحجج الشيعة القوية في الإيمان بالمهدوية، و لم يجدوا أي دليل من كتب الشيعة لإثبات ادعاءاتهم.

و من الله التوفيق

فريق الاجابة عن الشبهات

مؤسسة الإمام ولي العصر (عج) للدراسات العلمية